الفصل السابع

النتائج والتوصيات

مقدمة :-

من خلال ما تقدم يمكن استخلاص أهم النتائج التى توصل إليها البحث، وما يمكن أن نستفيده من هذه النتائج فى واقعنا المعاصر ، حيث يمكن تلخيص ذلك فيما يلى :

أولا – فيما يتصل بالمفهوم :-

فالزهد فى الإسلام لم يكن يعنى التواكل والانعزال عن الحياة فى كهوف للعبادة فقط كما زعم البعض، بل نبع من مصادر إسلامية خالصة تتمثل فى القرآن الكريم والسنة الشريفة وأقوال الصحابة الأبرار ، مما صبغ الزهد بالصبغة الإسلامية الخالصة والإيجابية ، فكان الزهاد يعملون ويتعلمون ويسعون فى الأرض ويجاهدون فى سبيل الله . ولم يكن زهدهم يعنى تحريم الحلال ، ولا إضاعة المال ، ولكن الزهد الذى قصده الزهاد وعملوا على توضيحه للناس ونشره هو : أن يثق الإنسان فى خالقه ويتوكل عليه ، ويسعى إليه ، ويجاهد نفسه الأمارة بالسوء التى تعوقه عن السعى والعبادة والعمل ، فكان زهدهم نابعا من عقيده وفهم صحيح للإسلام ومبادئه .

لذلك نجدهم فى خطابهم يدعون إلى الأخلاق والعلم والعمل ، وهذا يؤكد إسلامية خطابهم ولذا نوصى بما يلى :

١- التعمق فى دراسة حياة وأقوال هؤلاء الزهاد الأوائل عن طريق الأبحاث والدراسات التى تتناول أقوالهم وحياتهم .

٢- تطبيق هذه الحياة الروحية فى حياتنا المعاصرة إذا أردنا أن نقضى على السلبيات التى نعانى منها وتلك المادية المفرطة التى تفقد الإنسان إنسانيته وارتباطه بمجتمعه ، وتحجب الإنسان عن خالقه ، وذلك يتم عن طريق الاهتمام بالتربية الإسلامية فى المدارس ، واهتمام وسائل الإعلام بغرس هذه الأخلاق الإسلامية فى النفوس .

ثانيا – فيما يتصل بمصادر الخطاب : –

لقد اعتمد الزهاد فى فكرهم على العديد من المصادر التى أثرت فى تشكيل خطابهم ومنها : القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، وأقوال وحياة الصحابة الأبرار ، وأقوال الأنبياء السابقين ، وحكم الحكماء ، كما رأينا أن الزهاد قد استطاعوا أن يستفيدوا تربويا من هذه المصادر ، وتظهر الاستفادة فى تأثرهم بها فى مختلف ما كانوا ينادون به من آراء تربوية مبرهنين بذلك أن هذه المصادر قادرة على تقديم نظام تربوى متكامل لإيجاد الشخصية المسلمة المتكاملة . والتخبط الذى نراه اليوم فى نظم التربية المعاصرة فى العالم العربى والإسلامى سببه الابتعاد كثيرا عن فلسفة التربية الإسلامية ، وهذا يرجع إلى أن هذه النظم اعتمدت على فلسفات لا تتخذ من القرآن الكريم ولا السنة النبوية دستورا لها ولا منهاجا ، لهذا فهى لا تلق أى قبول فى بلاد المسلمين .

لذلك فإنه يجب الأخذ فى الاعتبار أن التربية الإسلامية قائمة من خلال آيات القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ومن عصور الإزدهار الإسلامى فى المجتمعات المسلمة التى كان إطار التربية فيها هو الإسلام ، وعلى هذا فالتربية الإسلامية فى فلسفتها ومناهجها وتاريخها ليست تراثا ينظر إليه ولكن كل ما يمكن أن يقوم به الباحثون هو الكشف عن جوانبها وكيفية التطبيق ، حتى يمكن الاستفادة منها فى تربية الإنسان المسلم ، وبناء المجتمعات المسلمة .

وفى ضوء ما تقدم نوصى بما يلى :

١- لما كان القرآن الكريم والسنة النبوية هما من المصادر الأولى للتربية الإسلامية ، وكان التراث المصدر الثانى ، حيث خلف أجدادنا فكرا تربويا ، وتراثا ثقافيا عربيا إسلاميا شمل كل مجالات الحياة وكان منهم الزهاد ، فإن علينا الرجوع إلى هذا التراث ، للبحث والتنقيب فيه ، بغرض إحيائه من جديد واستعادة الأيديولوجية الإسلامية كما كانت عليه ؛ وذلك لأنه لابد "أن يكون للعرب فلسفة نابعة من واقع حياتهم ، ومن تراثهم الثقافى ، وتنعكس على تربيتهم لأبنائهم ، فتخلق فلسفة تربوية عربية أصيلة وذلك لأنه لن يكون للعرب هذه الفلسفة التى تخلق المجتمع العربى المنشود إلا إذا كانت مشتقه من ثقافتهم ، معبرة عن أيديولوجيتهم ، قائمة على أساس من تراثهم العربى الإسلامى "(١) .

٢- عدم التقليل من دراسة العلوم الدينية الإسلامية ، وفى مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لأنهما يمثلان حجر الأساس لبناء الشخصية المسلمة المتكاملة المتوازنة ، والدرع الواقى لهذه الشخصية من الانخراط فى جماعات المتطرفين .

٣- عدم الأخذ بمبدأ تخفيف الينابيع الإسلامية خوفا من الإرهاب ، فقد نسى دعاة التخفيف أن الإرهاب"لا يأتى إلا من أنصاف المتعلمين ، وأن العلماء لا يمكن أن يخرج منهم إرهابيون ، وإنما الجهلة وأنصاف المتعلمين هم الذين يسهل اصطيادهم، وما يصنع الآن من تقليل لهذه العلوم الدينية يضاعف من الخميرة الإرهابية ، ويضاعف من عدد الجهلة "(٢) .

ثالثا – فيما يتصل بأهداف التربية وميادينها : –

رأينا فيما سبق أن الزهاد قد حددوا هدفا أعلى للتربية وهو "السعى لسعادة الإنسان والآخرة "، ومن هذا الهدف اشتقت عدة أهداف خاصة يؤدى تحقيقها فى النهاية إلى تحقيق هذا الهدف الأعلى(٣) .

واهتمام الزهاد بتحديد أهدافهم التربوية ؛ لأنها توجه تربيتهم، وتضمن لها الفاعلية والإستمرار، وقد نبع الزهاد فى أهدافهم من الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، واحتياجات مجتمعهم ، وكانت أهدافهم

---

(١) محمد سعد القزاز :**الفكر التربوى فى كتابات الجاحظ** ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص ٢٨٢ .

(٢) مصطفى محمود: مقال بعنوان المقاومة ، **جريدة الأهرام** ، القاهرة ، العدد ٤٠٧٢٤ ، السنة ١٢٢، بتاريخ ١٩٩٨/٦/٦ ، ص ٣٢ .

(٣) راجع البحث الحالى ، ص ١٣٥ .

تسعى إلى بناء الإنسان المتكامل المتوازن الذى يرضى الله عنه ، ويرضى هو عن خالقه . ثم رأيناهم يحددون الميادين التربوية التى كانوا يرون أن التركيز عليها كفيل بتحقيق تلك الأهداف الخاصة التى يؤدى تحقيقها إلى بناء الشخصية المسلمة إذ أن كل ميدان من تلك الميادين يهتم بجانب من جوانب تلك الشخصية التى كانوا يرون أن التربية الإسلامية تسعى إلى بنائها وتنميتها بشكل متكامل فى إطار الهدف الأعلى للتربية الإسلامية . ومن الملاحظ أن الزهاد قد ركزوا على التربية الروحية ، بإشاعة الجو الروحى الإسلامى الخالص فى المجتمع المسلم فى تلك الفترة ، والتربية الجسمية ، من خلال تهذيب الجسم وإعداده ليستطيع القيام بواجباته تجاه خالقه ، عن طريق التقلل من الطعام ؛ وحماية الجسم من الأمراض العضوية ، وعن طريق العبادات التى تعتبر رياضة تنمى الجسم وتقويه ، وعن طريق السهر فى العبادات والطاعات . والتربية العقلية ، من خلال الاهتمام بالتفكر والتذكر والتدبر فى الإنسان .

والتربية الوجدانية ، من خلال جهاد النفس وترويضها ومخالفتها ؛ لأنها من وجهة نظرهم مصدر الأخلاق الذميمة التى تعوق صلة الإنسان بخالقه ، والاهتمام بالقلب وتهذيبه عن طريق إبعاده عن كل ما يعوق صلته بخالقه . والتربية العقدية ، من خلال ربط الإنسان بخالقه،وتقويه العلاقة بينه وبين خالقه. والتربية الاجتماعية و السياسية ، من خلال مشاركتهم مجتمعهم فى كل أحداثه وصراعاته التى يمر بها عن طريق الوعظ والنصح للحكام وللرعية* .

وهذا الاهتمام لم ينبع عندهم من فراغ ، بل إن مردهم فى ذلك أنهم كانوا يرون أن طبيعة عصرهم وتطوره تتطلب التركيز على هذه الأنواع ، حيث كان عصرهم يموج بالفرق الدينية ، والنحل العقائدية ، مما أدى إلى شيوع البدع والضلالات وإثارة الجدل والخصومات بين تلك الفرق ، كما أن ازدهار الدولة الإسلامية فى تلك الفترة، وما صاحب هذا الازدهار من تلاقى ثقافى بين ثقافات متعددة وما صحب هذا الازدهار من تعدد طبقات الشعب ، وشيوع ظاهرة الترف فى المجتمع آنذاك ، وما صحب ذلك الترف من انغماس فى الشهوات ، وشيوع كثير من مظاهر الانحراف فى السلوك . فإن كل تلك الحيثيات السابقة هى التى دفعتهم إلى الاهتمام بتلك الميادين ، يشيرون بذلك إلى أنه ينبغى على التربية فى البلاد الإسلامية أن تراعى الواقع الاجتماعى ، وما تطلبه طبيعة العصر مع الالتزام بمصادر التربية الإسلامية المتمثلة فى القرآن الكريم والسنة الشريفة ، "وإذا كان العالم الإسلامى اليوم يواجه أعظم تحد عرفته الثقافة الإسلامية فى المجتمعات الإسلامية على وجه العموم ،

---

* راجع مجالات التربية فى الفصل الخامس من هذا البحث ، ص ١٣٦ .

وهو تحدى الحضارة الغربية بشتى وسائلها،فإن على التربية الإسلامية دور يجب أن تؤدية تجاه شبابنا لإبراز الخصائص الأصلية لديننا وتراثنا الذى يساير ركب التطور مع المحافظة على أسسه المتينة ، فالإسلام ثابت الأصول متحرك الفروع ، وهو عقيدة ونظام حياة صالح لكل زمان ومكان "[١] .

وفى مقدمة ما يجب أن تهتم به التربية الإسلامية فى هذا المجال هو التركيز على تلك الميادين التربوية الكفيلة بتنمية الشخصية المسلمة بكافة جوانبها بشكل متكامل ، وفى إطار الهدف العام للتربية الإسلامية الذى دعا الزهاد إلى مراعاته وفقا لما تتطلبه ظروف العصر وتحدياته ، ولعل تلك الميادين التى دعا الزهاد إلى التركيز عليها هى أبرز الميادين التى تدعو ظروف عصرنا وتحدياته التركيز عليها مع عدم إغفال الميادين الأخرى بطبيعة الحال .

وفى ضوء ذلك نوصى بما يلى :

١- ترسيخ العقيدة الصحيحة فى قلوب التلاميذ وتنقيتها مما تثيره الفرق والطوائف المختلفة من آراء وأفكار منحرفة ، تؤدى بالإنسان إلى التطرف وتجعله عرضه للإرهاب .

٢- المحافظة على وحدة العقيدة فى المجتمع الإسلامى باعتبارها أفضل وسيلة للمحافظة على وحدة وتماسك المجتمع ، والعمل على شيوع الاستقرار والأمن فى شتى جوانبه .

٣- العمل على الأخذ بتربية الحوار فى معاهدنا التعليمية وذلك لتخريج جيل يتميز بالقدرة على محاورة الآخرين بالتى هى أحسن ، وتجعله يعيش عصره فكرا و ثقافة ، وتسلحه بما يجابه به التحديات المستقبلية .

٤- تعريف المتعلمين منذ الصغر بمجتمعهم واحتياجاته وضرورة تماسكه ليقف أمام تحديات العصر بثبات وقوة .

ثالثا - فيما يتعلق بالتعليم والتعلم : -

رأينا أن هناك العديد من مبادئ التعلم التى تضمنها خطاب الزهاد والتى استمدوها من خلال ممارستهم الفعلية للعملية التربوية ، وجميع تلك المبادئ أخذ ينادى بها علم النفس التربوى فى عصرنا ولعل هذا ما يؤكد مكانة الزهاد التربوية ، الأمر الذى يحتم علينا ونحن نحاول تأصيل تربيتنا الرجوع إليها والاستفادة منها فى واقعنا التربوى خصوصا ؛ لأن تلك المبادئ جاءت من خلال الممارسة الفعلية للعملية التعليمية وفى بيئة عربية خالصة .

أما فيما يتعلق بمناهج الدراسة ، فهم كما رأينا لم يحدد الزهاد موادا معينة يتعين على المتعلم دراستها فيما عدا القرآن الكريم والسنة الشريفة ، والعقيدة والفقة ، ولكنهم رسموا خطوطا عريضة

---

(1) ناجى سالم مريذيق الصاعدى:**المضامين التربوية لفكر الإمام أبى حنيفة** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية بالمدينة المنورة ، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٨هـ ، ص ٢٥٥ .

للمنهاج ؛ حيث دعوا إلى تنظيم منهاج يجعل المتعلم يعيش عصره فكرا وثقافة ، ويسلحه بما يجابه التحديات المستقبلية ، على أن تترابط مواد المنهاج وتتكامل فيما بينها لتحقيق هذا الهدف على أن يراعى التدرج المنطقى فى دراسة هذه المواد .

ولعل اختيار المناهج عندهم نابع من فكر معين لتشكيل الإنسان " حيث كان هدفهم تخريج الإنسان المسلم ، العارف بدينه ، المتحلى بأخلاق القرآن الكريم ، المتصرف وفق مبادئه ، (الذى يتقرب لخالقه فى كل قول أو فعل أو فكر أو علم) ، وفى الوقت ذاته إعداد الإنسان الفاهم للحياة الدنيا القادر على أن يساهم فى مجتمع وبنائه " (١) .

ولعل هذا الأمر نحتاج إليه كثيرا فى عصرنا الذى يتسم بالتغير السريع فى كافة الجوانب ، فبناء على ما نادى به الزهاد . لذلك نوصى :

١- بأن يكون القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والمواد الدينية هى المواد الثابتة فى المنهاج الدراسى ، أما باقى المقررات الدراسية فيجب أن تكون متغيره حسب متطلبات المجتمع ، وظروف التدريس وأساليبه .

ولقد استخدم الزهاد طرقا تربوية معينة لم تنبع من فراغ ، ولكن أملتها طبيعة الظروف التى وجدت فى ذلك الوقت ، وهذا يدل على فطنتهم فى تربيتهم للإنسان ، فلم يقتصروا على طريقة واحدة بل على عدة طرق تربوية تدل على حنكتهم وخبرتهم فى بناء الإنسان .

ولعل طرق تدريسهم "أدت إلى تأصيل نوع من التربية المعتمدة على الذات أو ما يمكن أن نسميه التربية الاستقلالية ، وذلك لأنها ترقى إلى تعويد الطلاب الاعتماد على أنفسهم فى تحصيل العلم فكان المتعلمون يشبعون رغباتهم بما يحتاجون إليه من العلم ، ويعتمدون على أنفسهم فى البحث ، (واختيار العالم الذى يعينهم ويرشدهم إلى العلم الذى فيه صلاح لهم فى الدنيا والآخرة)، ويجدون لذة فى التعلم ، فيتعودون الجدة والمثابرة على العلم ، والاعتماد على النفس "(٢) .لذلك نوصى :

١- بتفعيل الطرق التربوية التى اعتمد عليها الزهاد فى واقعنا التربوى بما يتلائم مع ظروف واحتياجات المجتمع المعاصر .

ولم يقف الزهاد عن حد تنوع الطريقة التربوية ، بل تعداه إلى اهتمامهم بإبراز الإيجابية بين العالم والمتعلم ، كما دعوا إلى حسن اختيار ما يتناسب مع عقل واستيعاب المتعلم ، وليس حشو ذهنه بمعلومات فقط دون أن يستوعبها، كما اهتموا بتنمية التفكير والتدبر والتذكر المتعلمين .....وهذا يعنى إمكانية الاستفادة من الاتجاه الذى رسمه لنا الزهاد فى هذا الصدد ، والاستفادة من تلك الطرق التى

---

(١) صلاح السيد عبده رمضان : **تطور المدارس فى العالم الإسلامى منذ نشأتها حتى الفتح العثمانى** ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية ، جامعة الزقازيق (فرع بنها) ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م ، ص ٢٨٠.

(٢) **المرجع السابق** ، ص ٢٨١ .

نادى بها الزهاد فى تحقيق هذا الغرض بالإضافة إلى استخدام الطرق الحديثة التى من شأنها العمل على إثارة أذهان الطلاب ، وتنمية تفكيرهم .

أما فيما يتعلق بأداب العالم والمتعلم* ، فقد تضمنت خطاب الزهاد العديد من تلك الآداب التى ينبغى لكل من العالم والمتعلم الالتزام بها ؛ ذلك لأنها مستمدة من قيم العقيدة الإسلامية وتوجيهاتها السامية وهذا ما ينبغى الحث عليه فى نظامنا التعليمى المعاصر ، بأن تتسم العلاقة بين العالم والمتعلم بالدفء والاستقرار ؛ لأنها تمثل محور الارتكاز للعملية التعليمية .

رابعا – فيما يتصل بفعالية الخطاب التربوى عند الزهاد فى واقعنا المعاصر :-

عاش الزهاد فى القرنين الأول والثانى الهجريين ، ونحن الآن نعيش على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى ، أى أن بيننا وبينهم ثلاثة عشر قرنا من الزمان تقريبا ، فهل هناك من يعمل على تفعيل هذا الفكر التربوى فى أقواله وأفعاله فى حياتنا المعاصرة ، أم أنه كان حدثا فى فترة تاريخية ثم أنتهى ؟

فى الحقيقة نجد صدى لهذا الخطاب فى فكرنا المعاصر وهذا مانراه واضحا جليا فى أقوال الصوفية المعاصرين فى كتاباتهم المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

فهذا **أبو الوفا التفتازانى** يؤكد على جهاد النفس بقوله : " النفس الإنسانية من حيث طبيعتها وفطرتها تأمر بالسوء ، وعلى ذلك فإن مجاهدة النفس صراع نفسى أساسه مخالفة هواها.... "، ويتمثل بقول الإمام القشيرى فى مجاهدة النفس حيث قال : " اعلم أن أصل المجاهدة وملاكها فطم النفس عن المألوفات ، وحملها على خلاف هواها فى عموم الأوقات ، وللنفس صفتان ما نعتان لها من الخير إنهماك فى الشهوات وامتناع عن الطاعات ، فإذا جنحت عند ركوب الهوى وجب كبحها بلجام التقوى وإذا حرنت عن القيام بالموافقات يجب سوقها على خلاف هواها "، ويوضح أن جهاد النفس يقضى على القلق النفسى الذى يعيش فيه مجتمعنا المعاصر(١) ، وهذا الحديث عن مجاهدة النفس يذكرنا باهتمام الزهاد بالنفس والحث على جهادها ومخالفتها وترويضها ، كما رأيناه فى قول ابن عيينة : " الجهاد عشرة ، فجهاد العدو واحد وجهاد نفسك تسعة "(٢). وإذا كان التفتازانى حث على جهاد النفس كما كان يحث الزهاد سلفا يؤكد على امتداد الفكر الزهدى فى فكرنا المعاصر .

كذلك أوضح التفتازانى صفات أهل المعرفة لله ، يحث بذلك العباد على السعى لمعرفة خالقهم كما حث على ذلك الزهاد من قبل ، حيث كانت المعرفة بالله هدفا من أهدافهم التربوية فى خطابهم.قال التفتازانى:"أهل المعرفة هم الذين عرفوا الله حق معرفته،عرفوه بصفاته وأسمائه ، عرفوه تنزيها عما لا

---

* راجع الفصل السادس من البحث الحالى ، ص ٢٠١ .

(١) أبو الوفا التفتازانى : أثر السلوك الإسلامى فى علاج بعض أمراض النفس ، **مجلة التصوف الإسلامى** ، العدد ٣ السنة ١٣ ، ١٤١١هـ ، مارس ، ١٩٩١م ، ص ص ٤ ، ٥ .

(٢) انظر **الحلية** ، ج٧ ، ص ٢٨٤ .

يليق به من صفات ، عرفوه خالقا منعما ، وعرفوه قادرا قاهرا ، وعرفوه رحيما بعباده ، وغفورا لهم وأهل المعرفة هم أيضا أهل المعرفة بأحكام الله ، يعرفون الحلال والحرام ، وأهل المعرفة أيضا هم الذين تخلقوا بأخلاق الرسول ﷺ (١) ؛ وكأن التفتازانى يقصد بحديثه هذا الزهاد الأوائل .

ونراه أيضا يتحدث عن حرية الإنسان،هذه الحرية التى تتم بمجاهدة الإنسان لنفسه ، حيث قال "إن النفس تميل إلى تحقيق نزواتها وشهواتها ، فإذا تحكم الإنسان فى نفسه أحدث نوعا من التوازن النفسى أو الاستقرار النفسى المضاد للقلق ، وبهذا يصبح الإنسان حرا ، فيتقبل الشدائد ويتمكن من الوقوف على قدميه فى معترك الحياة مكافحا كفاح الشجاع الواثق بنفسه وبالله، فالإنسان هو القادر على أن يرتفع بنفسه إلى درجة عالية من السمو الروحى ، وهو القادر فى نفس الوقت على أن يهبط بنفسه إلى أسفل السافلين"(٢) .

وهذا ما أكد عليه الزهاد من قبل فى مفهومهم عن الإرادة للإنسان ، وها هو **التفتازانى** يهتم أيضا بمجتمعه ويعمل على الإرتقاء به خلقيا وسلوكيا عن طريق اهتمامه بالقيم الدينية والحث على إشاعتها فى المجتمع عن طريق الأسرة والمدرسة كما حث على ذلك الزهاد الأوائل سلفا حيث قال "ونظرة إلى واقع الشباب فى مصر رأينا أنهم يعانون بوجه عام فى الوقت الحاضر من فراغ روحى ، ويحتاجون إلى إرساء سلوكهم على قواعد من القيم الدينية والخلقية "(٣) ؛ فهو يعمل على إشاعة الجو الروحى الإسلامى الملائم للعبادة والطاعة والتقرب من الله فى المجتمع .

كما حث **التفتازانى** على العبادات والاجتهاد فى الطاعات؛ لأنها تطهر قلب وعقل المسلم وتقربه من خالقه ؛ ولأنها تطهر ظاهر الإنسان وباطنه ، فيضرب لنا مثلا لأثر العبادات على الإنسان بقوله : " ليست الطهارة طهارة الظاهر فقط وإنما هى طهارة الباطن أيضا من جميع الرذائل كالحقد والغل والحسد والغيبة والنميمة ، والصلاة مناجاة بين الإنسان وربه وخشوع وحضور فى حضرة الحق ومحبته له تعالى وتطهير للنفس عموما ، والصوم تطهير للنفس وتعويد لها على الصبر"(٤) .

وقوله أيضا : "كل عبادة من عبادات الإسلام تتضمن معنى مخالفة الإنسان لشهواته وأهوائه "(٥) .

---

(١) أبو الوفا التفتازانى :أسلوب الدعوة عند الصوفية ، **مجلة التصوف الإسلامى** ، العدد ٦ ، السنة ١٣ ، ذو القعدة ١٤١١هـ ، يونية ، ١٩٩١م ، ص ص ٤ ، ٥ .

(٢) ــــــــــ: مفهوم الحرية فى الإسلام ، **مجلة التصوف الإسلامى** ، العدد٢ ، السنة ١٤ ، صفر ١٤١٢هـ أغسطس ، ١٩٩١ م ، ص ص ٤ ، ٥ ، العدد ٣ ، السنة ١٤ ، ربيع الأول ، ١٤١٢هـ ، سبتمبر ١٩٩١م ص ٤ - ٦ .

(٣) ــــــــــ : وسائل حماية القيم الدينية فى مجتمعنا والحث عليها ، **مجلة التصوف الإسلامى** ، العدد ٨ ، السنة ١٤ ، محرم ، ١٤١٢هـ ، يولية ، ١٩٩١م ، ص ٥ ، ٧ .

(٤) ــــــــــ : مكانة الصوم بين سائر عبادات الإسلام ، **مجلة التصوف الإسلامى** ، العدد ٤ ، السنة ١٣ ، رمضان ، ١٤١١هـ ، مارس ، ١٩٩١م ، ص ص ٤ ، ٥ .

(٥) **المرجع السابق** ، ص ص ٤ ، ٥ .

وإذا انتقلنا إلى الإمام العالم الجليل **عبد الحليم محمود** لنرى امتداد الفكر الزهدى فى أقواله فنجده فى حديثة عن التوبة (وهو من الأخلاقيات التى دعا إليها الزهاد فى القرنين الأول والثانى الهجريين) يقول : "لقد أمر الله فى القرآن بالتوبة وحث عليها وحبب فيها وأوجبها فى بعض الأحيان ، والواقع أنها اللبنة الأولى فى الطريق إلى الله ، وهى اللبنة الأولى فى طريق إسلام الوجه لخالقه ، يقول سبحانه فى حديث قدسى وفى أسلوب كله رأفة : يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم ، وإذا صدقت التوبة فإن هذا الصدق يستتبع كلازم من لوازمة ، أن يستقيم الإنسان على الطريق (١) ؛ وهذا ما رأيناه فى خطاب الزهاد فى تربيتهم الخلقية فى حديثهم على الورع والزهد والتقوى والتوبة .

وكذلك تحدث الشيخ **حسن الشناوى** شيخ مشاريخ الطرق الصوفية الأن عن التوبة (٢) ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على امتداد فكر الزهاد فى واقعنا المعاصر ، كما حث صوفية هذا العصر على العبادات قال الإمام **عبد الحليم محمود:** "إن للعبادة أثرا لا ينكره أحد فى تصفية النفس وتزكية الروح ولكنها إذن كانت تهدف من وراء ذلك إلى دخول الجنة ونيل الأجر والثواب ، وبقيت عبادة مشكورة مأجورا صاحبها مثابا عند الله تعالى ، ولا يتجاوز للقائم بها على هذا الوضع وبهذه الصورة وصف العابد الى وصف الصوفى "(٣) ؛ فهنا يقصد الإمام الكبير أن يقوم الإنسان بالعبادة محبة فى الله تعالى ذاته لا رغبة فى الأجر .

وهذا يذكرنا بقول أبى حازم الأعرج : " إنى لأستحيى من ربى أن أسأله شيئا فأكون كالأجير السوء إذا عمل طلب الأجرة ، ولكننى أعمل تعظيما له "(٤) .

وإذا أخذنا مثالا أخرا لنرى فكر الزهاد وامتداده فى عصرنا المعاصر نجد الشيخ **محمد متولى الشعراوى** الذى اهتم بتوضيح أثر النفس الإنسانية على الإنسان ودورها فى إبعاد الإنسان عن خالقه ويحثنا على مجاهدتها ومخالفتها ، حيث قال :"أصحاب النفس الأمارة بالسوء هو شياطين الانس الذين يقودون الناس إلى المعصية ، ويأخذون بأيديهم إلى الفساد ، ويزينون لهم الباطل ...هؤلاء المنافقون الكذابون المزيفون أعوان الشياطين ، هم الذين يفسدون الكون "(٥) .وهذا امتداد أيضا لخطاب الزهاد الأوائل فى النفس البشرية وحثهم العباد على تهذيبها .

---

(١) عبد الحليم محمود : قضايا صوفية ، **مجلة التصوف الإسلامى** ، العدد ٨ ، السنة ١٤ ، محرم ١٤١٢هـ ، يولية ١٩٩١م ، ص ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) الشيخ حسن الشناوى: مقام التوبة ، **مجلة التصوف الإسلامى** ، العدد ٦ السنة ٢٠ ، جمادى الأخرة ١٤١٨هـ ، أكتوبر ، ١٩٩٧ م ، ص ص ٤ ، ٥ .

(٣) عبد الحليم محمود: **قضية التصوف -المدرسة الشاذلية** ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص ٤٢٩ .

(٤) انظر **الحلية** ، ج٣ ، ص ٢٤٢ .

(٥) الشيخ محمد متولىالشعراوى : الحلال والحرام، **مجلة التصوف الإسلامى** ، العدد٣ ، السنة١٤، ربيع الأول ، ١٤١٢هـ ، سبتمبر ، ١٩٩١م ، ص ص ١٤ ، ١٥ .

وإذا تركنا الإمام الشيخ **محمد متولى الشعراوى** نجدنا أمام الداعية الإسلامى والمفكر الجليل **محمد الغزالى** ، ذلك العالم الذى اهتم بمجتمعه وعلاج سلبياته وأفاته وعمل على الحفاظ على الشباب من الإنحراف من خلال حثه على الجانب الخلقى و التربوى وضرورة إشاعته فى الأمة الإسلامية ، واهتمامه بالوقت ودعوته للمجتمع الإسلامى لملء أوقات فراغ شبابه وملاحظتهم حتى نحفظهم من الإنحراف (١) .وهذا يذكرنا بأقوال الزهاد فى الوقت وتنظيمه والحفاظ عليه ، وعلموا على أن يملء الزاهد كل وقته بالعمل النافع والعبادة الصحيحة ، والسعى إلى خدمة المجتمع ؛ كى لا يترك فرصة لنفسه أو للشيطان لكى يؤثر عليه ويشغله عن عبادته وطاعته لخالقه تعالى .

ونرى الإمام الكبير أيضا يحذر الناس من الإنشغال بالدنيا عن الآخرة ، حيث إنها فانية وعلى الإنسان أن يكون جل اهتمامه بدينه وألا يتخذ الدنيا همه ، حيث يقول : " إن هناك البعض الذين يتخذون الدنيا غايتهم ، ومن يجعل الدنيا غايته يتهافت على متعها وينسى ما عداها ، فقد وضع حياته فى ميزان غير مضمون ، فالحياة الدنيا عرضة للزوال بعد أن يكون الإنسان قد أقام من أجلها كل الصروح ، ولذلك كان الخروج منها مجهول السبب ومجهول الزمان ، مجهول المكان ، لذا لا يجب التمسك بها كفاية " (٢) . واذا انتقلنا إلى الدكتور **الحسينى أبو فرحة** نجده يسير على الدرب "أن ينهل من فكر الزهاد والذى امتد إلى الصوفية "، حيث يؤكد على أن الإنسان المسلم لن يتقرب إلى الله إلا بسيره على الطريق المؤدى إلى ذلك ، حيث قال : " فمن طلب رضوان الله فبشره برضا الله عنه .فلا يطلب رضوان الله إلا من رضى الله عنه أولا ، فالرضا منه أولا سبب لطلب رضاه ، والحب منه أولا سبب لحب عبده له ثانيا " يذكرنا بقول الفضيل بن عياض الذى قال فيه :الزهد فى الدنيا الرضا على الله ، وتحدث كذلك عن الصفات التى يجب أن يتحلى بها من يريد التقرب إلى الله حيث قال : عليه أن يتصف بما يلى :

١- صدق العبودية : حيث لا يرجو إلا مولاه، ولا يخشى أحدا سواه، وكيف يرجو مالا يملك لنفسه نفعا ، وكيف يخاف من لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ما يؤذيه .

٢- أداء ما أفترضه الله كاملا غير منقوص، وعمود الدين وعماده الصلاة المفروضة هى تثمر أطيب الثمرات ، فهى تنهى عن الفحشاء والمنكر .

٣- الإكثار من النوافل وذكر الله ، وهذا يذكرنا بقول مالك بن دينار:"تنعموا بذكر الله فى الدنيا فإنه لكم فى الدنيا نعيم وفى الآخرة جزاء عظيم"(٣) . وقول الفضيل بن عياض : "لن يتقرب العباد إلى الله بشئ

---

(١) الإمام محمد الغزالى: قضايا إسلامية فى الميزان ، **مجلة التصوف الإسلامى** ، العدد ٢ ، السنة ١٤ ، صفر ، ١٤١٢ هـ ، أغسطس ، ١٩٩١م ، ص ص ٤٠ ، ٤١ .

(٢) الإمام محمد الغزالى : الإسلام دين قلوب وعقول ولا يتدخل السلاح الإ لرد العدوان ، **مجلة التصوف الإسلامى** ، العدد ٤ ، ربيع الآخر ، ١٤١٢هـ ، أكتوبر ، ١٩٩١ م ، ص ص ٤٠ - ٤٢ .

(٣) انظر **الحلية** ، ج٢ ، ص ٣٥٨ .

أفضل من الفرائض ، الفرائض رؤس الأموال والنوافل الأرباح "(١) ؛ فقد أكد الدكتور الحسينى على أن على أن العبادات تقرب الإنسان من خالقه ، وكذلك الذكر ، وهذا ما أكده الزهاد من قبل .

٤- الإيمان الكامل بمعية الله تعالى وكمال رقابته سبحانه لايعصى مولاه ولا يتكاسل عن الطاعات ؛ لأنه يعلم أن الله تعالى يراه (٢) . ونجد **فؤاد السيد** يرى الصلة بين الإنسان وخالقه لا تتم إلا بالمحبة كما أوضح ذلك الزهاد من قبل ، والحب لا يكون إلا بعد معرفة ، وكان إبراهيم بن أدهم يقول : "من أعلام الحب إن تبغض ما يبغضه حبيبك "(٣) .وهذا لن يكون إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة ما يحبه وما يكره .قال **فؤاد السيد** : "معرفة الإنسان لله تعالى هى عبارة عن قيامه بأوامره واجتناب نواهيه وسهره بما يرضيه ، وسيره إلى ما يقربه منه ويبعده عن الدنيا وملاهيها ، بحيث لا يشغله عن الله شيئا حتى يكون تحركه وسكونه بالله وحياته لله وفناؤه فى الله "(٤) .وهذا يذكرنا بقول ابن أدهم : "لو أن العباد علموا حب الله لقل مطعمهم ومشربهم وملبسهم وحرصهم،وذلك أن ملائكة الله أحبوا الله فاشتغلوا بعبادته عن غيره حتى أن منهم قائما وراكعا وساجدا منذ خلق الله تعالى الدنيا ما التفت إلى من عن يمينه وشماله،اشتغالا بالله خدمته " (٥) .

ومن صوفية هذا العصر الذين ينتمون إلى الفكر الزهدى الإسلامى الشيخ **محمد الطيب النجار** حيث كان حريصا على تنقية التاريخ الإسلامى من الشوائب المادية والأفكار الإلحادية والسلبية ، وكان شجاعا لا يخاف فى الحق لومة لائم (٦) .

وممن تمثل الفكر الزهدى فى أقواله الإمام **حسن البنا** رحمه الله بقوله : "يا قومنا أننا نناديكم والقرآن فى يميننا والسنة فى شمالنا وعمل الصالحين من أبناء هذه الأمة الصالحة قدوتنا، وندعوكم إلى الإسلام وتعاليم الإسلام وأحكامه وهديه ، ياقومنا لا تحجبكم الألفاظ عن الحقائق ، ولا الأسماء عن الغايات ، ولا الأعراض عن الجواهر ، إن للإسلام لسياسة فى طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة ، وتلك هى سياستنا لا نبغى بها بديلا" (٧) ؛ فيحاول الإمام **حسن البنا** إعادة الحياة الإسلامية الخالصة كما كانت فى عهد الرسول ﷺ وصحابته الأبرار ليسعد الإنسان فى الدنيا والآخرة ، وهذا ما دعا إليه الزهاد من قبل ، وكانت تربيته الإسلامية إسلامية خالصة إذ تقوم على عدة مقومات هى : "العبادة وهى

---

(١) انظر **الحلية** ، ج٨ ، ص ١٠٠ .

(٢) الحسينى أبو فرحة : كيف تكون صوفيا ، **مجلة التصوف الإسلامى** ، الأعداد ٢ ، السنة ١٤ ، صفر ، ١٤١٢هـ ، أغسطس ، ١٩٩١م ، ص ص ٢٦ ، ٢٧ ،والعدد ٣ ، السنة ١٤ ، ربيع الأول ،١٤١٢هـ ، سبتمبر ١٩٩١م ، ص ص ٤٤ ،٤٥.

(٣) انظر **الحلية** ، ج٨ ، ص ٢٤ .

(٤) فؤاد محمد السيد : فى رحاب الحب ، **مجلة التصوف الإسلامى** ، العدد ٢ ، السنة ١٣ ، رجب ، ١٤١١هـ ، فبراير ، ١٩٩١ ، ص ٧٢٩ .

(٥) انظر **الحلية** ، ج٨ ، ص ٣٦ .

(٦) محمد بكر : محمد الطيب النجار فقيد الأمة الإسلامية ، **مجلة التصوف الإسلامى** ، العدد ٣ ، السنة ١٤ ، ربيع الأول ، ١٤١٢هـ ، سبتمبر ، ١٩٩١م ، ص ص ٤٠ - ٤٢ .

(٧) حسن البنا : **إلى أى شئ ندعو الناس** ، مطبعة الأخوان المسلمين ، القاهرة ، د . ت ، ص ٦ .

الغاية الأولى من خلق المكلفين ، والعبادة بالمعنى العام اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه،من الأقوال والأعمال ولكنهم قصدوا العبادة بالمعنى الخاص وهى التنسك والتقرب لله تعالى وبإقامة شعائرة وذكره وشكره "(١) .

وإننا إذا كنا نهتم بعرض بعض هذه النماذج الصوفية التى تنهل من الفكر الزهدى نحاول بذلك أن نوضح امتداد هذا الفكر فى واقعنا المعاصر ، لأنه ما دام صوفية هذا العصر يكررون أقوال الزهاد ويرددونها فهم إذن مقتنعون بها وهى مسيطرة عليهم الآن ، وهذا لم يأت من فراغ ، وإنما كان هناك عوامل أدت إلى استقراره وأدت إلى امتداده عبر هذا الزمن الطويل وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل عل إيجابية الزهد الإسلامى وعلى دقة فكر الزهاد ، ولم يكن أبدا زهدا سلبيا كما ظن البعض ولم يتسم بالانعزالية والاتكالية ، بدليل امتداد هذا الفكر واستمراره إلى اليوم ، ولم يكن ليستمر لولا أنه يتسم بإيجابية ودقة الفكر .أما عن العوامل التى ساهمت فى استمراره هى كالتالى :

١- فالزهد هو بداية التصوف ، أو بمعنى آخر التصوف مرحلة متطورة من الزهد فلا يكون الإنسان صوفيا قبل أن يكون زاهدا ، فلا عجب إذن أن نرى استمرار هذا الفكر إلى الأن حتى ولو دققنا النظر فى بعض المصطلحات التى وجدت بأقوال الصوفية المعاصرين الذين هم امتداد للزهاد نجدها نفس مصطلحات الزهاد .

٢- التربية الصوفية التى اعتمد عليها صوفية هذا العصر والتى كانت امتداد لتربية الزهاد الأوائل بما تحمله من أهداف ومناهج وطرق تعليمية ومجالات تربوية .

٣- اعتماد الصوفية على الكتاب الكريم والسنة الشريفة وتفعيل المبادئ والأحكام والقيم التى جاءت فيها فى واقعهم وحياتهم وأقوالهم وأعمالهم ، كما كان الزهاد سلفا .

٤- اعتماد صوفية هذا العصر على أقوال الزهاد والاستشهاد بها ؛ وذلك لأنهم يعدون من السلف الصالح ، وهم يتأسون بهم فى حياتهم وأفعالهم وأقوالهم ؛ لإيمانهم التام بهذا الفكر .

واستمرار هذا الفكر نابع من اتسامه بعدة سمات جعلته مستمرا عبر الأزمنة ، ويعتبر بذلك معينا للتربية وهذه السمات هى :

١- مصدره الأساسى الكتاب الكريم والسنة والشريفة .

٢- حثه على الحياة الروحية الطاهرة التى يحتاجها الإنسان فى كل زمان وكل مكان .

٣- حثه على ربط الإنسان بخالقه من خلال حثه على العبادة والطاعة ، والاجتهاد فى الطاعة ، والسعى وراء العلم والعمل به .

٤- كان فكرا متكاملا يسعى إلى بناء الإنسان بناء متكاملا ومتوازنا من كافة النواحى .

---

(١) يوسف القرضاوى : **التربية الإسلامية فى مدرسة حسن البنا** ، ط٢ ،الإتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية القاهرة ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٦م ، ص ص ٢٨ ، ٢٩ .

٥- اعتماده على لغة جذابة جمالية تجذب المستمعين إليها وتثير تشوقهم .

٦- اعتماده على الوعظ وهو ما يحتاجه الإنسان فى كل زمان وكل مكان .

٧- عمله على إشاعة القيم الخلقية الفاضلة والآداب الإسلامية السامية فى المجتمع .

٨- كان فكرا يدعوا إلى العمل ويحث عليه ؛ لأنه يساعد الإنسان على الحياة والعبادة والقيام بواجباته الدينية .

٩- كان فكرا يعى بدقة الطبيعة الإنسانية وجوانبها المختلفة ، ويحاول تشكيل خطابه بما يتلائم معها .

وهذه السمات جعلت الفكر الزهدى فكرا إيجابيا ممتدا عبر الأزمنة ولو كان الزهد الإسلامى غير فعال لما كان الإرهاصات الأولى للتصوف هذا من جانب الخطاب الزهدى وتأثيره فى الصوفية المعاصرين أما من حيث المذهب "مذهبهم فى التفسير والفقة فلا نجد له شهرة فى عصرنا الحالى" فلا نسمع اليوم عن تفسير الثورى مثلا للقرآن الكريم وتفسير قتادة ولكننا نسمع عن تفسير ابن كثير وعن تفسير القرطبى ، والطبرى ، وقليلا ما نسمع عن تفسير الحسن البصرى أيضا وكذلك لا نسمع عن فقة الاوزاعى وابن عيينه والزهرى ومكحول فما السبب فى ذلك ؟ ما سبب فى عدم شهره هذه المذاهب الفقيه والتفسيرية والاجتهادية ؟ يقول الدكتور **صبحى محمصانى** ونحن معه فى هذا الرأى .

ومن "المحتمل أن يكون سبب ضياع ما ذكرنا من الكتب وأمثالها ما روى عن كتب الأوزاعى وأمثالها " وتفاسير الثورى واجتهادات ابن عيينة والزهرى ومكحول ....." ما روى عن كتب الأوزاعى أنها احترقت زمن الرجعة ، وما ثبت فى التاريخ من أن الأفرنج دمروا كثيرا من المكتبات والأبنية ، سواء فى بلاد الشام أم فى الأندلس ، ومن ذلك تحريقهم دار العلم فى طرابلس مع نفائس المخطوطات الموجودة فى مكتبتها "(١). ولعلى أسباب عدم شهرة هذه المذاهب يرجع كما قال **صبحى محمصانى:**"من شروط تأسيس المذهب الفقهى أن يكون مؤسسه حائزا صفات المجتهد المطلق من عقل ورشد وعدل وعلم بمدارك الأحكام على ما فصله علماء الأصول ، ومن شروطه أيضا أن يكون لهذا المذهب نهج فقهى خاص مستقل عن غيره ، وأن يميل إليه بعض الخلفاء ويتبعوه ، ولا ريب فى أن الأوزاعى كان حائزا على هذه الشروط جميعا "(٢).

غير أنه يشترط لبقاء المذهب واستمراره" أن يكون له تلاميذ قد يرونه يدونونه وينشرونه ، وأن تساعده ظروف أخرى ، كنشاط المؤسس أوتشيع الخلفاء أو الولاة للمذهب دون غيره أو سهولة الاتصال بمؤسسة أو بفقهائه أو ما شاكل ذلك ، وقد كان توافر هذه الظروف أو بعضها سبب لاستمرار المذاهب الفقهية الحية ولبقائها إلى الوقت الحاضر وبالفعل كان لأبى حنيفة مثلا أصحاب

---

(١) صبحى محمصانى : **الأوزاعى وتعاليمه الإنسانية والقانونية** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ٤١.
(٢) **المرجع السابق** ، ص ص ٤١ ، ٤٢ .

قديرون"[١] .إذن لعل عدم شهرة هذه المذاهب نتج مما يأتى :

١- بالرغم من أن الزهاد كانوا علماء أجلاء فى مجتمعهم وبخاصة فى العلوم الدينية ، القراءات والتفاسير والفقة وعلوم الحديث إلا أن اهتمامهم بالعبادة والإكثار منها والتقرب من الخالق كان الغالب عليهم .

٢- لم يكن للزهاد تلاميذ على درجة وعى كبيرة ليقوموا بتدوين فقهم واجتهادهم وتفاسيرهم وينشرونه بين الناس ويصنفوه ليتأمن استمراره وإشاعته . كما فعل تلاميذ أبى حنيفة والإمام مالك والشافعى وأحمد بن حنبل .

٣- بعض الكتب التى جمعت بعض أقوالهم وتفاسيرهم واجتهاداتهم قد احترقت بغزو التتار للخلافة الاسلامية فى العراق .

٤- تأثرهم فى اجتهاداتهم وفقههم وتفاسيرهم بمذهبهم الزهدى .

خامسا- بحوث مقترحة :-

توصلت الباحثة من خلال دراسة الخطاب التربوى فى أقوال الزهاد الأوائل إلى موضوعات قد يستفيد منها الباحثون باعتبارها بحوثا للمستقبل منها على سبيل المثال ما يلى :

- المضامين التربوية لأبى نعيم الأصفهانى كما يبدو من خلال كتاب حلية الأولياء .
- قضايا التربية فى مجلة التصوف الإسلامى - دراسة تحليلية .
- تحليل الخطاب التربوى عند الصوفية المعاصرين .

---

(١) صبحى محمصانى : **مرجع سابق** ، ص ٤١ - ٤٣ .